النشاط التعليمي
للإرسالية الأمريكية في البصرة
١٩١٢ ـ ١٩٥٨

أ. د. ليلى ياسين الأمير
جامعة البصرة – كلية الدراسات التاريخية
قسم التاريخ الحديث والمعاصر

تمهيـــد :

وجدت البعثات التبشيرية طريقها إلى العراق منذ بداية القرن السابع عشر، ففي العام ١٦٢٢ قدم الكرمليون البصرة للعمل من أجل نشر الديانة المسيحية بين الصابئة(١)، ومن ذلك الوقت توالى النشاط التبشيري في العراق، فأستقر خلال القرن الثامن عشر،وطرأ عليه تطور نوعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(٢)، وعليه كانت أخر البعثات التي وطأت أقدامها البصرة الإرسالية العربية، وهي إرسالية أمريكية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية في منطقة الخليج والجزيرة العربية(٣)، ولدت فكرة الإرسالية في مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر، وأصبحت حقيقة واقعة في أب ١٨٨٩ بجهود كل من جيمس كانتين ، J·cantine ، وفيليب فيلبس ، ph·Philips ،وصموئيل زويمر ، S·Zwemer ،طلاب المعهد اللاهوتي للكنيسة المصلحة الهولندية (٤)، في نيوبرونزويك في ولاية نيوجرسي الأمريكية ، و د. جون لا ننسج ، J·Lansing، أستاذ اللغتين العربية والعبرية في ذلك المعهد(٥) .

اتخذت الإرسالية من العاصمة اللبنانية بيروت محطة انتقالية للعمل الميداني ، فمكثت فيها بضعة أشهر للتعرف على المجتمع العربي، وجمع المعلومات ، ودراسة اللغة العربية والتدريب عليه والتخطيط للعمل المقبل (٦).

قام أعضاء الارسالية بجولات استطلاعية في شبه جزيرة العرب والخليج العربي لدراسة أوضاع المنطقة الجغرافية والاجتماعية والدينية والسياسية، وأستقر رأيهم في خريف ١٨٩١ على تأسيس أول محطة للإرسالية في البصرة، والتي أصبحت لسنوات عدة مركزاً وقاعدة لعملياتهم في منطقة الخليج العربي (٧).

لم يكن اختيار البصرة قاعدة ومحطة أولى لعمليات الإرسالية أمرا عفوياً بل كان أمرا مدروساً ومخططاً نظراً لما يتمتع به موقع المدينة من أهمية استراتيجية في المنطقة كلها ، فأنها أكبر وأهم ميناء يسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي، وقد تسهل مهمة النفاذ إلى عمق الجزيرة العربية، هذا إلى جانب أن الحكومة الأمريكية سبق وأن أنشأت قنصلية هناك إستطاع المبشرون أن يعيشوا تحت حمايتها (٨)، كما رحبت بهم البعثات التبشيرية الأخرى

القريبة من البصرة والتابعة للجمعية الكنسية للبعثات التبشيرية في بغداد ، ووعدتهم الجمعية الإنجيلية البريطانية التعاون معهم أيضاً(٩) .

من جانب أخر رأى أعضاء الإرسالية أن البصرة مدينة واسعة ومجتمعها مختلط إلى حد كبير حتى دار في خلدهم بأنهم سوف لن يكونوا محط أنظار السلطة المحلية ، فجاء التأكيد على أن تكون البصرة رسميا أول مقر للإرسالية العربية الأمريكية بعد الانتقال من بيروت(١٠) .

من الواضح أن نظرة أعضاء الإرسالية كانت تدعو إلى التفاؤل، حيث تم استئجار محل صغير في السوق المحلي الشعبي في البصرة، وبدأت أولى مهامهم بشرح العقيدة المسيحية، وبيع الكتاب المقدس، وقد عثروا على شابين مسلمَين راغبَين في تعلم اللغة الإنكليزية ، كما بدأت جولاتهم الاستكشافية في جميع الاتجاهات على طول نهري دجلة والفرات ، والكارون أيضاً .

ولكن لم يلبث أن أصطدم أعضاء الإرسالية بالأمر الواقع، وهو أن السلطات العثمانية كانت واعية لما يقوم به المبشرون الأمريكان عندما نفت أحد (المهتدين) إلى بغداد، ولم يسمح له بالعودة ، كما منعت منتسبي الإرسالية من القيام بجولات تبشيرية، وأمرت بغلق المكتبة ومصادرة الكتب ووضعت مسكن المرسلين تحت مراقبة الشرطة وبدا الأمر كما عبّر عنه أحد المبشرين: (بأن الحكومة التركية كانت متيقظة لحقيقة الأمر بأننا نغرس أوتاداً عميقة وعقدت العزم على استئصالها..)(١١).

شعر أعضاء الإرسالية أثر ذلك بشيء من الإحباط ، وبأن تأريخ تطو ر محطتهم في البصرة في تراجع لا في تقدّم ، فعلىسبيل المثال لا الحصر، أن مدينة العمارة التي فتحت فيها محطة خارجية عام ١٨٩٥ ، والناصرية التي جعلت كذلك عام ١٨٩٧، قد تم توحيدهما في محطة واحدة عام ١٩١٠(١٢)، وكما عبّر أحدهم، يبدو أنهم وصلوا البصرة في الوقت الذي تحول فيه تسامح وإهمال الحكومة (التركية) لمشروع الإرسالية إلى معارضة، لذا كان عليهم بذل كل جهد لتثبيت أقدامهم أولا وقبل كل شيء (١٣)، فقرروا توجيه الاهتمام ليس بالجانب التبشيري الديني فقط، بل الاهتمام بالميدان الطبي والتعليمي.

جذور النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في البصرة والمشاكل التي واجهته أواخر العهد العثماني:

ربط المبشرون البروتستانت الأمريكان بين التبشير والتعليم لاعتقاد المسيحيين بأن السيد المسيح (ع) كان معلما وكان يدعو أتباعه دوماً لنشر التعليم بين الناس (١٤) .

والحقيقة أن العمل التبشيري واجه صعوبات أدت إلى فشل المبشرين الأمريكان في نشر مذهبهم البروتستانتي ، نظراً لمقاومة المسلمين والطوائف المسيحية الأخرى (١٥)،مما جعلهم

يحوّلون نشاطهم إلى مجالات الطب والتعليم دون أن يتخلوا عن هدفهم الأساس ، وما أنتهى القرن التاسع عشر حتى كانت شبكة المؤسسات التعليمية قد غطت منطقة واسعة في البلدان التابعة للدولة العثمانية وكان خريجوها يحتلون مكانة بارزة في الحياة العامة وكان لهم دورهم في إدخال الثقافة الغربية(١٦) .

وبقدر تعلق الأمر بموضوعنا، شهد العقد الأول من القرن العشرين بداية الخدمات التعليمية للإرسالية الأمريكية في البصرة ، فقد أستقبل أعضاء الإرسالية التلاميذ في السنوات الأولى من نشاطهم بأعداد مشجعة، حيث بدأ السيد بارني ، Mr. · Barny ، وهو من قادة الإرسالية، عمله في هذا الميدان بافتتاح مدرسة صغيرة في بيته عام ١٩٠٥ ، ولكن السلطات العثمانية أغلقتها بعد فترة قصيرة لعدم وجود ترخيص مسبق بها (١٧).

الأمر الذي يؤكد أن العمل الميداني التعليمي أيضاً لم يكن مهمة سهلة، إذ لاقى أعضاء الإرسالية معارضة شديدة من الأهالي ، ومقاومة عنيفة من السلطات العثمانية المحلية، فهناك سلسلة من العقبات اعترضت طريق فتح المدارس والمباشرة في تعليم التلاميذ ، ابتداءً من الحصول على رخصة تأسيس المدرسة ، والتي كانت تمر عبر سلسلة من المراجعات المحلية تتبعها سلسلة أخرى من المتابعات في العاصمة العثمانية .

فكان يتحتم على أعضاء الإرسالية حين تقديم طلب الحصول على رخصة تأسيس المدرسة ، أن يرفق بتقرير كامل حول المناهج المقررة أتباعها ، وأسماء المعلمين الذين سوف يدرسون فيها والأهم من ذلك تأييد باستئجار بيت مناسب ليكون مقرا للمدرسة المطلوب تأسيسها، وهذا يعني أن على الإرسالية أن تقوم بتأجير البناية المناسبة حين تقديم الطلب ، وما يترتب على ذلك من الاستمرار في دفع أيجار البناية ، ربما لمدة سنة أو أكثر، لحين الحصول على الرخصة ، دون الاكتراث بالمبالغ التي تدفع طيلة تلك المدة في حالة رفض الطلب، وبعد أن يحسم الأمر محليا يرفع الطلب إلى العاصمة العثمانية ، ومن أجل أن لا يهمل الطلب ، فعلى السفير الأمريكي متابعة الأمر هناك ، وبعد سيل من الرسائل والتلغرافات قد تحين الفرصة وتجني الإرسالية أتعابها ،إذا لم يخفق السفير، وتستلم الأمر الرسمي بافتتاح المدرسة (١٨).

لم تثن تلك الإجراءات ، التي قد تستمر لسنوات، أعضاء الإرسالية الأمريكية في البصرة من تنفيذ خططهم ، بخاصة وأنهم شعروا بشيء من الطمأنينة بعد نجاح الاتحاديين في الاستيلاء على الحكم سنة ١٩٠٨، حيث رفع الحضر عن الكثير من الكتب الدينية المطبوعة ، وأزيلت الكثير من القيود التي فرضت على العمل والسفر، ومن بين ذلك سمحت السلطات العثمانية المحلية للسيد موردیك، E · mordyk ،بافتتاح مدرسة في البصرة، بعد جهد كبير، للحصول على ترخيص بذلك، فبدأت المدرسة بثلاثين تلميذاً ، وقد شعر في أثنائها أعضاء الإرسالية بأن مهمتهم باتت كبيرة بخاصة وأنهم في بداية نشاطهم ، وبحاجة إلى تأمين البناء المدرسي الملائم

والمناهج الدراسية المناسبة باللغة العربية ، مع العلم أ ن العربية التي تعلمها المبشرون في فترة وجودهم القصيرة لا تؤهلهم للتعليم بها ،ولكنها توفر الحد الأدنى للتفاهم مع المواطنين (١٩).

ومن الجدير بالذكر أن النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في البصرة بدأ فعلياً في سنة ١٩١٢ بفضل جهود المبشر الأمريكي جون فان ايس، John Van Ess وكان الأخير ، الذي سيأتي الكلام عنه لاحقاً، قد وصل البصرة سنة ١٩٠٣، وقام بعدة جولات في مدن وقرى جنوب العراق ، وفي سنة ١٩١٠ ، خلال زيارته وزوجته إلى اسطنبول ، نجح في الحصول على إرادة سلطانية (فرمان) منحت الإرسالية بموجبه حق إدارة مدارس للبنين والبنات ، وبعد عودته وزوجته من أجازتهما في ١٩١١ عهدت إليهما الشؤون الثقافية في البصرة فشرعا بتأسيس مدرسة للذكور وأخرى للإناث هناك، كما سنراه في المبحث التالي .

مدرستي الرجاء العالي للبنين والرجاء للبنات الأمريكيتين:

افتتحت مدرسة الرجاء العالي((the school of high hope)) ، الاسم الرسمي لمدرسة البنين، في نيسان ١٩١٢ ومدرسة الرجاء ((the School of Woman's))، الاسم الرسمي أيضاً لمدرسة البنات في كانون الأول من العام نفسه(٢٠)، وأقيمت المدرستان بالقرب من أحدهما الأخرى في مدينة البصرة " في مكان مثالي في قلب مقاطعة المقيم ، حيث لم تحاول أي بعثة تبشيرية العيش في ذلك الجزء من المدينة"(٢١).

وعند افتتاح الفصل الصيفي لعام ١٩١٣ كان عدد المسجلين في مدرسة البنين يربو على الثمانين تلميذاً، أما مدرسة البنات فضمت تسعة وعشرون تلميذة، ويقرب من نصف العدد في كلتا المدرستين كان من المسلمين .

وقد جُعل تواجد أعضاء الإرسالية، المسؤولين عن الخدمات التعليمية، خلال النهار، هناك نوعاً من العمل الاجتماعي عملياً، والذي كان حتى ذلك الحين مستحيلاً، وهذا يصدق كثيراً على مدرسة البنات، التي لم تكن مركزاً اجتماعيا للأمهات فحسب بل وسيلة للوغول داخل العديد من البيوت التي لم يسبق أن دخلوها، فكانت السيدة دوروثي، Dorothy، زوجة جون فان ايس، تحاول أن تنشى علاقات اجتماعية مع نساء البصرة من خلال دعوتها لهن في بيتها أومن خلال قيامها بزيارتهن والتعرف عليهن وعلى عادتهن عن كثب (٢٢).

سمحت الحكومة العثمانية لأعضاء الإرسالية بتدريس الإنجيل لتلاميذ المدرستين، من المسلمين والمسيحيين على حد سواء، وكانت اللغة العربية لغة لتدريس، وأدخلت اللغة التركية أيضاً ضمن منهج الدروس الذي كان يتضمن اللغة الإنكليزية والجغرافية والرياضة، وعلم الصحة بالإضافة إلى أعمال الخياطة والتطريز للبنات(٢٣).

كان ملاك التلاميذ متنوعاً، فقد كان هناك ثمانية من أبناء الشيخ خزعل، شيخ

المحمرة، الذي تعهد أمام مدير المدرسة بتحمل مسؤولية تعليم أبنائه، إلى جانب أثنين من أبناء السيد طالب النقيب ، وكانا في حضور يومي منتظم ، والى جانب هؤلاء، هناك تلاميذ من مختلف فئات الشعب البصري من أبناء الشرطة، والضباط، والجباة، ومسؤولي الدولة ، وأبناء المحامين، والصيارفة ، والتجار ، وأبناء الخياطين، وبائعي المشروبات ، وأبناء الطباخين ، ومعهم أبناء كل كوادر الإرسالية ومساعديهم من المواطنين المحليين، وضمت مدرسة البنات الفئات الاجتماعية نفسها من بينهم بنات القنصل الإيراني في البصرة،(٢٤).

وكان من بين الذين درسوا في تلكما المدرستين، في سنواتها الأولى، على سبيل المثال لاالحصر ، يوسف سلمان يوسف (فهد)، مؤسس الحزب الشيوعي العراقي ، وكان معه في الصف نفسه بهجت العطية، الذي أصبح ،فيما بعد ، المدير العام للتحقيقات الجنائية(٢٥)، وكذلك عبد الله مسعود، وزكريا ألياس دوكا، اللذين أصبحا من أعضاء الحزب الشيوعي أيضاً (٢٦)، وعبد الجبار الملاك ، وهو من عائلة ملاكين، وأنتخب نائباً عن البصرة في أكثر من دورة انتخابية (٢٧) .

ومن أسرة ميخا جبوري عبو ، وهو من الموصل أرتحل إلى البصرة ، التي أتخذها مركزاً لأقامته والتحق بالإرسالية الأمريكية فيها، وباشر ببيع الكتاب المقدس ، وكان على علاقة وثيقة مع السيد طالب النقيب ، وقد أهدى الطائفة البروتستانتية في البصرة قطعة ارض لتشييد كنيسة عليها ، فمن أبنائه بدور وجميلة ، اللتين درستا في مدرسة الرجاء للبنات ، وكانت الأخيرة قد مثلت العراق مع أمين الرحال في المؤتمر النسائي الشرقي الأول ، ووديع ميخا الذي أصبح طبيباً وعيّن فيما بعد في المستشفى الملكي في البصرة ، وقد فاز بالنيابة عن المسيحيين في الدورة الانتخابية السادسة سنة ١٩٣٤ ، والعاشرة سنة ١٩٤٣ (٢٨).

ومقارنة مع المدارس الحكومية آنذاك ، كانت المدرستان تمثلان تطوراً نوعياً كبيراً في أسلوب التدريس ومواده، فأنها في الوقت الذي لم تهمل تدريس اللغة العربية ، حيث استخدمت في جميع الدروس للفروع المشتركة ، أدخلت في مناهجها لأول مرة تدريس اللغات التركية والفارسية كلغات اختيارية في مدرسة البنين(٢٩)، وفضلاً عن العلوم الصرفة ، والخياطة والتطريز والتخريم، كما أشرنا، أدخلت ضمن منهاجها رياضة الجمناستك، التي كانت جزءاً منتظماً من منهاج المدرسة، وبخاصة خلال الطقس البارد، والرسم والموسيقى، حيث كان درس البيانو يعد مغرياً إضافيا للانضمام إلى المدرستين المذكورتين وبخاصة مدرسة البنات، والتي ألحقت بها روضة صغيرة أيضاً(٣٠).

وبعبارة أخرى كانت وسائل الأغراء كثيرة لكسب أعداد متزايدة من التلاميذ من خلال الاهتمام بمنهاج المدرستين وتأثيثها بشكل جيد ، فقد أعتقد أعضاء الإرسالية أن مقاعد ومناضد المدرسة الأمريكية كانت مصدر زهو وفخر للأطفال إلى جانب الخرائط والكرات الأرضية

والمخططات والأدوات الحديثة الأخرى(٣١) .

إن النجاح الذي حققته المدرستين في السنة الأولى دعا إلى الرغبة في توسيع نطاق العمل في المستقبل القريب (٣٢)، وبدأ التفكير ليس فقط بفتح المدارس الصباحية في العشار والبصرة، بل وفتح مدارس داخلية ، في أماكن أخرى خارج المدينة ، صناعية وزراعية، مع محاولة لتعديل مجمل الدروس لتتلاءم مع متطلبات البلد، وكما جاء في تقرير الإرسالية ((.. لأن عملية أمركة هؤلاء البنين والبنات هي أبعد مما نصبوا إليه..)) (٣٣) .

واجهت مدارس الإرسالية مشكلات عديدة كان من أهمها موقف مديرية معارف البصرة من تعليم الإنجيل للطلبة المسلمين ، بخاصة بعد صدور فتوى دينية تمنع ذلك ، واحتجاج كثير من الأهالي ، مع العلم أن تعليم الإنجيل كان مسموحاً به في الأمر الصادر من الحكومة العثمانية، كما أشرنا ، إلا أن موقف السيد طالب النقيب نائب البصرة في مجلس المبعوثان ، مع بعض الشخصيات البصرية الأخرى ، كان لهم الأثر الكبير في إزالة تلك العقبة ، أو ربما التخفيف من حدتها على الأقل(٣٤).

وبالرغم من أي عقبات واجهت أعضاء الإرسالية فأنهم كانوا ماضين في عزمهم ومستمرين في ممارسة نشاطاتهم ، فقد اهتمت مدارس الرجاء الأمريكية ، بإقامة المعارض والحفلات الأدبية وجعلت من مناسبة منح شهادات التخرج، مهرجانات احتفالية، وقد أقيم المعرض الأول للمدرسة في كانون الأول ١٩١٥ حضره المسؤولون والوجهاء في المدينة ، وأبلى الطلبة بلاءً حسناً فيه، مما حدا بإحدى الصحف المحلية أن تجعل من المناسبة موضوعاً لمقالة لاذعة حول تدنّي المُثل والأفكار ((التركية)) (٣٥) .

وكان من أولويات اهتمامات الإرسالية أيضاً ، توفير الكادر التعليمي الجيد لمدارسهم وكان من بين الذين درّسوا فيها آنذاك د. جون فان ايس ، مدير مدرسة الرجاء العالي للبنين ومدرس اللغة الإنكليزية،هنس، وشو ، مدرسا الرياضيات،د. آرثر بنيت ،مدرس الصحة والعلوم الطبيعية، إيليا ،مدرس اللغة الفرنسية وعزيز المختار و نصيف، مدرسا اللغة العربية(٣٦).

ومن الجدير بالذكر أن أعضاء الإرسالية استطاعوا وضع نظام ناجح للتعليم في مدارسهم المذكورة ، حيث قسموا كل موضوع إلى أجزاء ،كان التلميذ يسير في دراستها طبقاً لقدراته الفردية، وكان اهتمامهم بنوعية التعليم لا كمّيته ، أي أن مدارسهم كانت مؤسسة على نظام المجاميع وليس نظام المراحل أو الصفوف ، وهذا ما أراد جون فان ايس تطبيقه على مدارس البصرة التي أشرف على تأسيسها خلال فترة الاحتلال.

المبشر الأمريكي جون فان ايس أول مدير معارف في البصرة:

ولد جون فان ايس في ولاية مشيغن الأمريكية سنة ١٨٧٩ ، من أصل هولندي ، وكان والده راعياً في الكنيسة المصلحة الهولندية، تخرج من أحد الكليات الأمريكية في ١٨٩٨ ، ومن ثم عكف على دراسة اللغات السامية، بما فيها اللغة العربية نحو ثلاث سنوات ، في جامعة برنستن اللاهوتية ، وفي سنة ١٩٠٣ أوفدته الإرسالية العربية الأمريكية إلى البصرة وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وحين وصوله البصرة ، التي كانت أقامته فيها ، جاب البلاد بمدنها وقراها ، وأرتاد أهوارها، وبذلك عُدّ أول غربي جاب الأهوار وتعرّف على طبيعتها وأحوال سكانها ، وفي سنة ١٩٠٩ تعرف جون فان ايس على الآنسة دو روثي فرمان ، Dorothy firman ، في العراق ، عندما كانت تعمل في الإرسالية العربية الأمريكية في محطة البحرين التبشيرية(٣٧) ، وتزوجا في أمريكا في ١٩١١ وعادا في العام نفسه إلى البصرة ،(٣٨) كما أشرنا .

قاد جون فان ايس البعثة التبشيرية بمهارة إزاء الصعاب والمعوقات التي نجمت عن روتينية الموظفين العثمانيين ، وحقق ما لم يحققه أحد قبله في خدمة الإرسالية ونشاطها التعليمي ، وفي سنة١٩١٤ عين قنصلاً مؤقتاً للولايات المتحدة الأمريكية في البصرة ، وفي تلك الأثناء أعلنت الحرب العالمية الأولى الأمر الذي أدى إلى غلق المدارس وتعطيل الدراسة في البصرة ، نظراً للحرب الدائرة من جهة ، ورحيل كافة المعلمين التابعين إلى دائرة المعارف العثمانية، مع القوات العثمانية المنسحبة من جهة أخرى .

غير أن الحرب لم تؤثر على بعض المدارس الأجنبية في البصرة بما فيها المدارس الأمريكية، بل رحب أعضاء الإرسالية بالاحتلال البريطاني للبصرة والعراق عموماً، وشعروا أن وجود البريطانيين سوف يذلل الكثير من الصعاب التي كانت في ظل الحكم العثماني ، وبأنهم سوف يكونوا أكثر حرية في القيام بأعمالهم التبشيرية وتسيير أمور مدارسهم، ففي هذا المجال كتبت السيدة دوروثي فان ايس ((ويبزغ فجر يوم جديد لهذه المنطقة مع مجيء الحكم البريطاني ، الأمر الذي سيعني في النهاية بلا ريب فرص مدرستنا للبناء والنمو على أسس وضعت مسبقاً أكثر بكثير من تلك التي كانت تحت حكم تركيا))(٣٩).

لم تهتم سلطات الاحتلال البريطاني في بداية الأمر بالتعليم وإعادة فتح المدارس، ولكن بعد قيامها بتنظيم شؤون الإدارة المدنية في الولاية تبين لها النقص الكبير في عدد الموظفين المستخدمين الذين تحتاج إليهم في دوائرها ومرافقها المختلفة، وفي الوقت نفسه كان وجهاء المدينة يراجعون السلطات المحتلة من أجل إعادة فتح المدارس ، وعليه وضع البريطانيون خطة للتعليم وإعادة فتح المدارس كان الهدف من ورائها ليس المصلحة العامة للمواطنين في تقديم

الخدمات التعليمية، بقدر ما هو مصلحة سلطة الاحتلال وسمعتها السياسية(٤٠).

انطلاقا من تلك الظروف لعب أعضاء الإرسالية الأمريكية دوراً مهماً في دعم سلطة الاحتلال البريطاني في هذا المجال، وفي مقدمتهم جون فان ايس نظراً لما كان يتمتع به من خبرة في مجال التعليم ومعرفة بأحوال الأهالي في البصرة، الأمر الذي حدا بناظر الواردات البريطاني هنري دوبس، H ٠Dobbs،(٥) الاتصال به والتشاور معه في وضع خطوط رئيسية لسياسة بريطانيا التعليمية في المناطق المحتلة.

تضمنت الخطوط العامة للخطة المذكورة إعداد المعلمين الذين تحتاج إليهم المدارس الابتدائية المنوي فتحها، عن طريق تنظيم دورات تدريبية في مدرسة الرجاء العالي، على أن لا يقل عددهم عن ثلاثة معلمين في السنة، وأن يكونوا من العرب المسلمين، مقابل منحة سنوية قدرها (٥٠٠٠) روبية بما فيها (٢٠٠٠) روبية مخصصة لإعداد المعلمين(٤١)، وأن يقوم بفتح مدرسة ابتدائية في مركز مدينة البصرة، وأخرى في قضاء أبي الخصيب، على أن تدرس فيها اللغة العربية والإنكليزية، وأن تتولى مدرسة الرجاء العالي الأمريكية التعليم الثانوي لما لها من مدرسين أكفاء (٤٢).

وافق جون فان ايس على ما ورد في الخطة أعلاه، والأهم من ذلك موافقته على فتح أبواب مدرسته للمفتشين البريطانيين بين الحين والأخر، وبهذه الموافقة عد فان ايس بمثابة أول مدير معارف في البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ، وأصبح المسؤول المباشر عن فتح المدارس الابتدائية في البصرة ، وسير التدريسات فيها، وتفتيشها من حين لأخر ، كما خول صلاحية الاستعانة بالسلطات العسكرية لأشغال البنايات الصالحة، وصنع الأثاث اللازم للمدارس وطلب الكتب المدرسية من الهند والصين ، ووضع المناهج الدراسية لها ، وتنظيم جداول أوقات الدوام فيها وتعيين المعلمين المؤهلين من طلاب مدرسته(٤٣).

وفي عام ١٩١٥، بعد نجاح بعض الطلاب في مدرسة الرجاء العالي بدورة المعلمين المذكورة، قرر جون فان ايس المباشرة بفتح المدارس الابتدائية، ففتحت مدرسة حكومية في مركز مدينة البصرة ، في محلة السيف، عين لأدارتها، فتح الله داود ، أحد طلاب مدرسة الرجاء العالي والمتخرجين من دورة المعلمين فيها ، وفتحت مدرسة أخرى في قضاء أبي الخصيب، عين طاهر السلمان ، مديراً لها ، وهو أيضا من طلاب الدورة المذكورة. وفي سنة ١٩١٦ تم فتح مدرسة ثالثة في الزبير كلف بإدارتها طاهر السلمان،قد عين عبد الرزاق إبراهيم بدلاً منه لمدرسة أبي الخصيب ، وهكذا استمر جون فان ايس بتطبيق خطته التعليمية، ففي سنة١٩١٧ فتحت مدرسة في مدينة الناصرية ، التابعة لولاية البصرة ، وعين لأدارتها علي حسن ، الذي كان معلماً في مدرسة أبي الخصيب(٤٤).

وعين جون فان ايس أيضا معلمين وزعهم على المدارس التي فتحت حديثاً ومنهم طه

مكي،عبد الرزاق إبراهيم ، عبد الحميد فخري ، محمود العثمان، عبدا لسلام عزت ، أحمد النقشبندي ، جواد الدجيلي، السيد جمال الدين محمد جواد العمار ، محمد عبد الحسين ، خليل أمين وعبد المجيد زيدان ، وسداً للنقص الحاصل في المعلمين فكان فان ايس قد اختار بعض ا لأسرى العراقيين وبعض الموظفين الجيدين الذين تعاونوا معه،للتدريس في تلك المدارس(٤٥).

ومن مظاهر الدعم الأخرى التي قدمها جون فان ايس إلى سلطة الاحتلال البريطاني ، تنظيم صفوف التحق بها الجنود البريطانيين لتعليم اللغة العربية، فطبقاً لإدارة المناطق المحتلة، كانت السلطات البريطانية تدفع لكل بريطاني راتباً إضافيا إن هو أتقن اللغة العربية الدارجة تكلماً وكتابة لعلمهم أنها تساعده على الاختلاط بين العراقيين والتجسس عليهم أثناء قيامه بواجبه في أنحاء البلاد(٤٦).

ومن الجدير بالملاحظة أن المدارس التي أشرف على فتحها جون فان ايس كانت تعطل يومي السبت والأحد من كل أسبوع وتفتح يوم الجمعة أسوة بالمدارس الخاصة ، على الرغم من أن معظم تلاميذها من المسلمين ، كما كان أيضاً يفتش هذه المدارس ويراقبها ويشدد على السير وفق روحية وطبيعة سلطات الاحتلال في البلاد ، وكثيراً ما كان يصطدم ببعض المعلمين الذين حملوا أفكارا وطنية، فكان يهددهم بالنفي إلى الهند إن هُم لم يرضخوا لأوامر سلطات الاحتلال ويقوموا بالدعاية لها(٤٧).

وهكذا فإن السماح للأمريكيين بالعمل في المنطقة كان مقابل ثمن دفعه المبشرون بالولاء والعمل مع سلطة الاحتلال لضمان مستقبلهم واستمرار عملهم ، ففي ١٩١٦كتب جون فان ايس ((بارتياح)) ((منحت الحكومة المحلية المدرسة الأمريكية عطاءً جوهرياً لتمكننا من تجهيز وإدارة العمل على طول خطوط ستكون كافية إلى حدٍ ما ، وبالإضافة إلى ذلك طلبت منا السلطات فتح صفوف اعتيادية، حيث يتم تدريب معلمي المستقبل للمدارس الحكومية، ولم توضع أي شكل من القيود على الفعاليات التبشيرية للمدرسة ، وتم تعليم الإنجيل لمن تم تدريبهم لاحتلال مواقعهم كمعلمين في المدارس الابتدائية الرسمية وعلاوةً على ذلك تم صرف المخصصات للمدارس الحكومية الابتدائية وتم العمل على توظيف خريجي المدارس التبشيرية هناك وبذا فأن تأثيرنا في أتساع ليشمل أجزاء ويضم حلقات لم نكن لننفذ منها إلا بشق الأنفس من قبل))(٤٨).

وفي مجال أخر كتب ((سابقاً عندما يتم اختيار مناهج الجغرافية يتوجب على المرء أن ينظر بعين الحذر خشية أن يكون اللون الإنكليزي الأحمر بارزاً جداً في الخليج ، أو حقيقةً في أي مكان من الممالك، التي كانت تحت السيادة التركية.. وعند اختيار كتب التاريخ كان على المرء أن يتحاشى أي شيء يمكن أن يشين بأية طريقة إلى (النبي) محمد أو المسلمين..واليوم فإن تواريخنا وجغرافيتنا وقرائنا جميعاً يقولون الحقيقة سواء استمرئها المسلمون أم لا))(٤٩).

وفي أواخر آذار ١٩١٧ قرر فان ايس مغادرة البصرة مع زوجته قاصداً الولايات المتحدة

للتمتع بإجازتهما، فتولى إدارة مدرسة الرجاء العالي للبنين، خلال غيابه، السيد موردیك ، بينما تولت إدارة مدرسة الرجاء للبنات السيدة كانتين ، وقد قام موردیك بالواجبات نفسها التي كانت بعهدة فان أيس ، من حيث تفتيش المدارس، والأشراف على سير التدريسات فيها واتخاذ مايلزم لفتح مدارس جديدة في المناطق الأخرى لغاية رجوع فان ايس وزوجته في كانون الأول ١٩١٧ ، وحتى عندما اقترح معاون الحاكم العسكري ماكنزي، G· F· Mackenzie ، تشكيل مجلس معارف يتولى الأشراف على شؤون المعارف في المنطقة بعد سفر جون فان ايس ، ضم المجلس في عضويته ممثلاً عن الأهالي وآخر عن دائرة الواردات وثالثاً عن المدرسة الأمريكية في البصرة (٥٠).

ظل جون فان ايس يدير شؤون المعارف في البصرة ، بينما قام السكرتير المالي في دائرة الواردات ، مستر كوردن ووكر ، بمهمة الصرف على المدارس ودفع رواتب المعلمين حتى آب ١٩١٨ ، حين اندمجت معارف لبصرة بمعارف بغداد(٥١).

نشاط الإرسالية الأمريكية التعليمي حتى عام ١٩٥٨:

بعد قيام الدولة العراقية نشط المبشرون الأمريكان في العمل على استحصال الموافقات لفتح مدارس ابتدائية وثانوية، وبخاصةٍ في بغداد ، غير أن التعليم الأهلي والأجنبي لايمكن أن يبقى دون أشراف ولا رقابة من الدولة، لذلك أصدرت وزارة المعارف، في الحادي عشر من تموز ١٩٢٣، تعليماتها بخصوص تلك المدارس ،أكدت فيها على ضرورة الاستمرار في مراعاة القوانين العثمانية في هذا المجال(٥٢).

غير أن المدارس المذكورة لم تكن تلتزم بالتعليمات كثيراً، وبناءً عليه وضع ساطع الحصري ، وكان مدير المعارف العام آنذاك، مشروع نظام المدارس الأهلية والأجنبية وقدّمه إلى الوزارة، التي بعثت به إلى مجلس الوزراء في السادس عشر من شباط ١٩٢٤، وكان يقتضي تقوية علاقة تلك المدارس مع وزارة المعارف وإعطاء الأخيرة الصلاحية الكافية لمراقبتها وإرغامها على بث الشعور القومي والحفاظ على الوحدة العراقية(٥٣).

اعترض المندوب السامي في العراق، وكان هنري دوبس ، على مشروع النظام مشيراً إلى أن المادة (٣٤) فيه، والتي تضمنت منع تشجيع أو إجبار التلاميذ على حضور دروس دين غير دين إبائهم ،تخالف ما جاء في معاهدة (١٩٢٢) حيث تعهدت الحكومة بعدم التدخل بأعمال التبشير(٥٤).

وبعد نقاش طويل بين المندوب السامي وساطع الحصري رأت الحكومة البريطانية أنه لايمكن تطبيق ذلك على المدارس الأجنبية، وقد شعر الأخير أن جون فان ايس كان وراء رفض

المشروع فقد كتب أنه كان ((من الطبيعي أن يستشير هنري دو بس المدير المذكور،أي جون فان ايس، ويأخذ برأيه حول الموضوع))(٥٥). مما يؤكد سابق التعاون بين هنري دو بس وجون فان ايس ، واستمراره في الوقت نفسه .

ورغم محاولة ساطع الحصري الوصول إلى النتيجة التي كان يريدها بشكل غير مباشر ، بأن لجأ إلى وضع الأسئلة في الامتحانات بطريقة أجبرت تلك المدارس على تدريس جغرافية الأقطار العربية، وتأريخ العراق والأمة العربية ، فقد اتسع نشاط المبشرين الأمريكان في مجال التعليم خلال الفترة المذكورة في بغداد والمدن العراقية الأخرى(٥٦) .

بينما يلاحظ أن الإرسالية الأمريكية في البصرة قد اكتفت بمدرسة الرجاء العالي للبنين التي تدرجت من الصفوف الأولية إلى الصفوف الثانوية، الصفوف الثلاثة الأولى ، أي المتوسطة، والرجاء للبنات، سوى أنه تم في عام ١٩٢١ افتتاح مدرسة أخرى للبنات في العشار كملحق لمدرسة البصرة، فكما يبدو أن جون فان ايس كان يعد جميع المدارس الابتدائية الجديدة التي فتحت في المدينة لازالت تحت تأثيره، وأن له اليد الطولى في نظام المعارف الذي وضع أسسه في البصرة في ظل الاحتلال .

وفي عام ١٩٢٣ كان جون فان ايس قد أستدعى جليل القس عمسو ليكون مديراً لمدرسة الرجاء العالي الابتدائية للبنين ، ومعاوناً ومدرساً لمدرسة الرجاء العالي المتوسطة ، مكتفياً هو بإدارة المدرسة الأخيرة (٥٧).

وعليه فقد استمرت مدرسة الرجاء العالي المتوسطة هي المدرسة النموذجية الوحيدة في البصرة ، وعلى حد قول طالب مشتاق ،الذي زار البصرة في أيلول ١٩٢٤ بصفته، مديراً عاماً: ((كان معظم الشباب البصريين من خريجي مدرسة المستر فانيس ، المدرسة الوحيدة في اللواء التي فاقت شهرتها كل شهرة سواها وذاع صيتها بين الخواص والعوام على حد سواء)) (٥٨)، حيث أن أعضاء الإرسالية حصروا كل اهتمامهم وجهدهم في مدارسهم القائمة ، باذلين ما في وسعهم للارتفاع بمستواها الاجتماعي والعلمي ولتكون مركز الاستقطاب في المدينة، فاستمرت بمهرجاناتها الأدبية والعلمية ،وحفلات توزيع شهادات التخرج، التي كانت تعدها مناسبات للتغلغل في الوسط الاجتماعي البصري بمختلف فئاته،(٥٩).

وفي الوقت نفسه واصلت المدارس الأمريكية بالتعاون مع مدارس البعثات التبشيرية الأخرى في البصرة ، رفضها تدخل الحكومة العراقية بمناهج التدريس وفق المناهج الرسمية لأنه يفقد مدارسهم صفتها التبشيرية ، ويجعلها في عداد المدارس الوطنية، فتبطل الغاية من وجودها، وتُفقدها الإعانات المالية من دولها، ومن هذا المنطلق كان امتعاض جون فان ايس واضحاً بسبب زيارة طالب مشتاق إلى مدرسة الرجاء العالي ، حين لاحظ أن معظم المدرسين من الأمريكان، بينهم عدد محدود من العراقيين ، الذين تتلمذوا على يد فان ايس، وقد أستغرب من

عدم قيام معارف البصرة بزيارة تفتيشية إلى المدارس المذكورة، فأجابه جون فان ايس ((بعصبية)) ((أن مدرستنا أمريكية ، وحكومة الولايات المتحدة لم تعترف لحد الآن بحكومة العراق.. ولذلك لا يحق لمفتشي المعارف أن يزوروا مدرستنا..))(٦٠)، مع العلم أنه بحكم أحكام القانون العثماني المرعية إحكامه آنذاك، أن المدارس الأمريكية ملزمة بتزويد معارف البصرة بكل المعلومات والإيضاحات .

لذا فعندما بدأت المفاوضات لعقد معاهدة عراقية – بريطانية – أمريكية سعت الولايات المتحدة لضمان مصالحها التعليمية في العراق، ولو لم تكن الإرساليات ومدارسها تتجاوب مع رغبات وتوجيهات حكوماتها ، وارتباطها بالمصالح الاستعمارية لدولها لما علقت الولايات المتحدة اعترافها، بدولة العراق بشرط ضمان عدم التدخل في شؤون مدارسها في العراق وضمان استقلالهم في مجال الخدمات التعليمية ومناهجهم وطرق تدريسهم (٦١).

وانسجاما مع طموحات دولة العراق الفتية أخذت الإرسالية الأمريكية بتطوير خدماتها التعليمية وتحديثها ونظراً لما حققته من نجاح في هذا المضمار، وجهت وزارة المعارف الدعوة إلى ست من مدرسيها لحضور مؤتمرها التعليمي في بغداد سنة ١٩٣٦ للاستفادة من خبرتهم والتعاون معهم ، وفي ذلك دلالة على أن تعليم الإرسالية كان ذا مستوى لم تستطيع الوزارة تجاهله ، وأن مستوى الخدمات التعليمية التي كانت تقدمها الإرسالية جيد ومرضي، كما يدلل على اعتراف الحكومة بمدارس الإرسالية والسماح لها بالبقاء والعمل.

الا أن نتيجة تنامي الشعور الوطني والقومي والمعارضة الشديدة في الجانب التربوي لتهيئة أمة صحيحة جسماً وعقلاً وخلقاً ، صدر قانون المعارف العام رقم (٥٧) لسنة ١٩٤٠ الذي أخضع المدارس الأهلية ، والأجنبية إلى أشراف وزارة المعارف بشكل نهائي(٦٢)، وتنفيذاً لأحكام هذا القانون اضطرت الإرسالية الأمريكية إلى تسجيل مدارسها الابتدائية باسم الطائفة البروتستانتية الإنجيلية الوطنية لتصبح مدارس عراقية ، واستخدام المعلمين المعينين أو المستعارة خدماتهم في وزارة المعارف لتدريس اللغة العربية والتأريخ والجغرافية والدروس الوطنية باللغة العربية، وبالكتب المقررة، بينما استمرت مدرسة الرجاء العالي المتوسطة على أنها مدرسة أجنبية، حيث أُلزمت بأحكام القانون الأخرى الخاصة بمرحلة التعليم الثانوي، وأن تلك القيود وأن حددت من حرية الإرسالية في أتباع أنظمة ومناهج كانت ترغب في تطبيقها إلا أنها أكسبت مدارسها صفة رسمية ،ومن الجد ير بالقول أن المسؤولين في مديرية المعارف أظهروا رغبتهم بالتعاون مع هذه المدرسة وكانوا يعاملونها معاملة ودية.

استمر جون فان ايس بإدارة مدرسة الرجاء العالي، بحرص شديد باذلاً أقصى جهوده لتذليل المشاكل والصعوبات الناشئة عن اشتداد الوعي القومي في العراق عن قيام الحكومة بتنفيذ خطتها الرا مية إلى الحد من نشاط المدارس الأجنبية لغاية عام ١٩٤٤ حيث ترك فان أيس

إدارة المدرسة إلى جورج جوسلنك (٦٣)، وانصرف للقيام بالخدمات الدينية في البصرة ، مكتفياً بما حققه في المجال الثقافي، وربما في إطار الظروف التي مر ذكرها شعر فان ايس بأنه لم يعد في وسعه التوسع والتقدم أكثر من ذلك ، هذا إلى جانب مرضه وفقدانه لأبنه المدعو جون أيضاً، الذي توفي في البصرة سنة ١٩٤٣ (٦٤) ، وكان مدرسا للغة الإنكليزية في مدرسة الرجاء العالي .

وبعد جون فان ايس وخلفه جورج جوسلنك أ سهم بإدارة المدرسة والتعليم فيها كذلك هنري بلكرت ،هاري أماند ودونالد ماكنيل وأد موف لود نز وآخرون، وممن درس فيها كذلك من العراقيين الياس مختار،سامي أبو احمد،عبد الجبار عبد الكريم، وعبد الجليل جواد (٦٥).

وبارتفاع مستوى المدارس الرسمية وإتاحة أفضل الفرص لطلابها لإكمال الدراسات العليا،على حسابهم الخاص ، والحصول على البعثات الحكومية ، فضل أبناء مدينة البصرة الدراسة فيها على مدرسة الرجاء العالي، التي كانت الدراسة فيها تنتهي بانتهاء السنة الثالثة في التعليم الثانوي ، أي المتوسطة، كما أشار تقرير الإرسالية لسنة ١٩٥١ إلى زيادة القيود المفروضة على مدارس الإرساليات والصعوبات التي كانت تواجه خدماتها التعليمية في البصرة ، فأشارت دوروثي فان ايس إلى ذلك بقولها :((لقد بدأ عملنا التعليمي يأخذ طابع الجمود بازدياد القيود التي تفرضها الدولة علينا إذا إننا لم نعد نملك الحرية في استخدام كتاب مقرر جد يد ما لم يكن ضمن القائمة التي تطلبها إدارة التعليم ، كما أننا يجب أن نحصل على موافقتها عند تعيين جميع المدرسين لتقرر صلاحية المدرسين لتعليم التاريخ العربي وغيره من الموضوعات المتعلقة بالإسلام)) (٦٦).

وبما أنه لم يعد في خطة الإرسالية منافسة المدارس الحكومية ، فقد تولى أعضاء الإرسالية الاهتمام بتدريس أبناء القرى والمعوزين وتثقيفهم بغية التأثير عليهم ، لما كان يدور في خلدهم من أن هذه الفئة قد تكون خطراً ((ذلك لأن بذور الشيوعية لا تجد لها تربة خصبة لترسل جذورها فيها إلا بينها..))(٦٧)، وهكذا يظهرانه مع تطور الصراع الاشتراكي – الرأسمالي بدأ أعضاء الإرسالية يطورون نشاطهم صوب هذا الاتجاه في أقل تقدير، ومن جانب أخر واصل بعض أبناء الطائفة البروتستانتية دراستهم في المدرسة المذكورة .

هكذا كانت خدمات الإرسالية ونشاطاتها التعليمية عند قيام ثورة ١٤تموز ١٩٥٨، وقد توقفت أنشطة الإرسالية بعد فترة وجيزة وترك أعضاؤها البصرة وتسلمت موجوداتها في العراق الإرسالية المتحدة في ١٩٦٢/١/١ .

وقبل الانتهاء من هذا الموضوع لابد أن ننوّه بأن أعضاء الإرسالية الأمريكية بعد مغادرتهم البصرة نقلوا معهم جميع السجلات المتعلقة بنشاطاتهم التبشيرية والتعليمية إلى مقرهم العام في الولايات المتحدة الأمريكية ، وحتى عندما حضر وفد أمريكي إلى الكنيسة البروتستانتية إلى البصرة ، قبل الأحداث الأخيرة في العراق حاولنا الاتصال بهم عن طريق القس جلبرت ، راعي

الكنيسة البروتستانتية في البصرة، للإستفسار عن سجلات الإرسالية ومدارسهم في البصرة أو أية نشاطات تتعلق بها ، إلا أنهم أحجموا عن الإجابة ، مع العلم أن بعضهم كان من إتباع الإرسالية الأمريكية وممن أسهم في إدارة المدرسة أو التدريس فيها(٦٨)، كما انه لم نعثر على أي سجل للمدرسة في المديرية العامة للتربية .

نتائج البحث:

يقيناً أن العلاقة وثيقة بين التبشير والاستعمار، ففي الوقت الذي بدأت فيه الدول الأوربية أعمالها التوسعية في العالم بدأ المبشرون أعمالهم التوسعية أيضاً ، فكان زعماء الجانبين يحملون أفكاراً دينية وسياسية مشتركة ، هي حصيلة للأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية التي مر بها المجتمع الأوربي ابتداءً من الحروب الصليبية مروراً بعصر النهضة والإصلاح الديني والاستكشافات الجغرافية والثورة الصناعية وانتهاءً بالتوسع الاستعماري في القرن التاسع عشر، فهناك أهداف مشتركة ومصالح متبادلة وجد زعماء الجانبين بأنه يجب أن يتعاونا على تحقيقها .

من هذا المنطلق فإن الإرسالية العربية الأمريكية في البصرة، يمكن أن تعد جزءً من مشروع أمريكي كبير للسيطرة على الشرق الأوسط منذ أواسط القرن التاسع عشر، ولا يزال مستمراً كهدف وغاية ، بدأ مع بدأ الصراع من أجل إعادة تقسيم العالم المقسم سابقاً، حيث طرحت من جديد مسألة تقسيم الإمبراطورية العثمانية ((الرجل المريض)) والاستيلاء على أثمن الأراضي العربية الداخلة ضمنها ، فقد كانت الولايات المتحدة تطمع في الحصول على حصة من تلك الممتلكات إلا أن موقعها الاقتصادي داخل الإمبراطورية العثمانية كان ضعيفاً إزاء منافساتها من الدول الأوربية ، التي كانت لها مصالح في الممتلكات العثمانية ، يضاف إلى ذلك انشغال الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك بشؤونها الأخرى في أسبانيا والبحر الكاريبي.

لذا كان عليها أن تلجأ إزاء تلك الظروف إلىطرق خاصة للحفاظ ، في الوقت نفسه، على مواقعها في الشرق الأوسط أيضاً ، وهنا بالذات أمكن الاستفادة من المبشرين الأمريكان الذين اجتاحوا المنطقة بأسرها تحت إشراف مجلس المبشرين الأمريكان، وتحت شعار ((تنصير العالم في غضون جيلنا))(٦٩)، طبق المبشرون الأمريكان الإجراءات التي سهلت تغلغل الرأسمال الأمريكي إلى الإمبراطورية العثمانية .

فأهتم المبشرون الأمريكان اهتماما خاصاً بالعمل في المناطق العربية من الإمبراطورية العثمانية ، وبخاصةٍ الخليج العربي والجزيرة العربية ، ولهذا الغرض تأسست الإرسالية العربية الأمريكية في سنة ١٨٩١ ، والتي افتتحت أول مقر لها في البصرة ليكون منطلقا لها في

المنطقة ، والى جانب الاهتمام بالنشاط الديني ومن ثم الميدان الطبي بدأ المبشرون الأمريكان نشاطهم التعليمي أيضاً هناك ، متخذين منه وسيلة لتحقيق أهدافهم وتوسيع ميدان نفوذهم، وتخفيف حدة المنافسة من جانب الإرساليات الأوربية الأخرى، وبخاصة الكاثوليكية منها ، أتضح ذلك من خلال تتبعنا لنشاط الإرسالية الأمريكية في البصرة ، والدور الذي لعبه المبشر الأمريكي جون فان ايس ، وما قدمه من خدمات في الجانب التعليمي، ومساعدته هو وأعضاء الإرسالية لقوات الاحتلال البريطاني في البصرة .

وقد أشار البعض بأن المدارس التبشيرية ((وإن كانت أداة بيد الدول الكبرى للتغلغل في العراق ، كما في الأقطار الأخرى ، فإن ذلك لاينفي حقيقة أن تلك المدارس تحولت بغض النظر عن إدارة القيمين على شؤونها إلى أداة مهمة لتنبيه الأذهان وفتح الأبصار..))(٧٠).

ولو سلمنا بذلك فيمكن أن نستعير في هذا المجال ما ذكره جبران خليل جبران ((كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون، ولقد أحيانا ذلك الخبز،ولما أحيانا أماتنا،أحياناً لأنه أيقظ بعض مداركنا ونبّه عقولنا قليلاً،وأماتنا لأنه فرّق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطّع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا..))(٧١).

وفي ضوء ما كتبه أنور الجندي في هذا المجال ((ومن الثابت أنه كان للإرساليات التبشيرية دورها في التأثير الخطير على الفكر العربي وفي زلزلة قوائمه وضرب حركة اليقظة السائرة في طريقها بحركة أخرى تحمل مفاهيم تختلف أساسياً عن القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية...))(٧٢)، نلاحظ ما ذكره جون فان ايس ، مدير مدرسة الرجاء العالي الأمريكية ((أن الأولاد العرب هم رجال الغد ، أي أمتيار قولبتهم ، قولبتهم من أجل الغد المشرق ، وما هو إلا الأمس أنه بدا كل شيء مظلماً معتماً مع ذلك الهلال الذي يرفرف فوق الرأس ، ومع مجيء العلم البريطاني أشرقت الشمس هنا ونحن نحمل بأيدينا هذه الأرواح الفتية التي إن وجهت بالشكل الصحيح يمكن أن تفعل الكثي...))(٧٣).

وفي المجال نفسه كتبت السيدة كانتين ، إحدى أعضاء الإرسالية الأمريكية، حول النشاط النسوي ومدرسة الرجاء للبنات ((إذ أن من دواعي أملنا وتطلعاتنا بأن تتعلم البنات حاجتهن للمنقذ عيسى المسيح وذلك عن طريق التوجيه الديني المباشر بواسطة التأثير الذي يمارسه المعلمون المسيحيون والاحتكاك اليومي بالبعثات التبشيرية...))(٧٤)، وهنا يصدق القول ((أن المبشرين استغلوا العِلم النبيل ستاراً لغايات هي بدورها ستاراً لغايات أخر، لقد تظاهروا بالعلم وتظاهروا بالإحسان إلى الناس وتظاهرا بالدين ، ولكنهم في الحقيقة يريدون هم ومَن أستخدمهم أن يصلوا من طريق هذا النشاط البريء في ظاهره إلى استعباد الشرق واستغلاله سياسياً واقتصاديا))(٧٥).

وهناك دليل أخر على ما ذكرناه بأن أعضاء الإرسالية كانوا يشعرون بأن جميع أعمالهم تولي اهتماما بالمستقبل، وهو ما يحمله أسم مدرستا البصرة من الأفكار يتقدمها الرجاء العالي ، High Hope، إلى الأيام التي سيحجب فيها صوت المؤذن من مئذنته بصوت جرس المدرسة وحتماً ستأتي تلك الأيام (٧٦)، فمن وجهة نظرهم أن الإسلام والتطور متعارضان وأنه مدعاة لعدم الاستقرار وأن الرغبة في التنوير والتطور جليّة في كل مرحلة من مراحل الوجود في الأرض العربية ، لذا فهم يعتقدون أن الفرصة التي بأيديهم من خلال المدارس التي أسسوها في البصرة هي واحدة من أثمن الفرص ((فأمامنا صناع التاريخ المحتملين لتدريبهم وقولبتهم كيفما نشاء ...))(٧٧).

بهذه الأفكار وبهذه الأهداف والقيم جاء أعضاء الإرسالية لقولبة أبناء البصرة وبناتها لخدمة المستعمر عقيدةً وفكراً ومن هنا كان ساطع الحصري مُحقاً في ردّه على سامي شوكت ، وقد كتب الأخير عن مدرسة الرجاء العالي: ((أن هذه المؤسسة العلمية الغربية ، وأن كانت تراعي جانب عقائدها الدينية في تسيير أمورها ، إلا أننا نعتقد بفوائدها العلمية وبمعاضدتها لنا في تأييد الروح العراقية العربية))، فرد ساطع الحصري ((فإذا كان يمكننا أن نبرر ونؤيد قوله بفوائدها العلمية ، كيف نستطيع أن نبرر ونؤيد قوله في خدمة المدرسة الأمريكية في البصرة لتأييد الروح القومية العراقية العربية))(٧٨).

استنادا لذلك فأن من الواضح تماماً وبدون أدنى مجال للشك أن المبشرين كانوا متورطين سياسياً ، وهذا يمكن لمسه من الحماية والدعم الذي كانت تحظى به الإرسالية ، والذي سهل مهمتها في المنطقة فمن الطبيعي والحالة هذه أن تحظى الإرسالية الأمريكية بحماية ودعم حكومتها الممثل بسفارتها وقنصليتها ، إلى جانب مساندة وحماية الحكومة البريطانية ، ومن خلال مراجعة تقارير الإرسالية يتضح مدى تورطهم السياسي وانصرافهم عن التركيز على الجانب البشري، وهو هدفهم المعلن، إلى تكثيف جهودهم في جمع المعلومات، سياسية واجتماعية واقتصادية، كانوا يمدون بها حكوماتهم، والتي تعتمد عليها في صياغة سياستها تجاه المنطقة.

فإن جون فان ايس ، الذي خدم الإرسالية ست وأربعون عاماً ، وعرف بدماثة أخلاقه وحسن تصرفه، وسرعة البديهة ، وآرائه السديدة ، وعلاقته الطيبة مع طلابه ومع الأهالي، والسلطات الأمريكية والبريطانية، والسلطات العراقية على أعلى المستويات ، حسب ما كتب عنه في التقارير والكتب والصحف، ولاينكر أنه قدم خدمات طيبة في المجال الثقافي ، عندما كان العراق بحاجة إلى المعاهد التعليمية ،((الا أنه كان من أشد الناس حماسة لصداقة البريطانيين ، وأنه كان يحمل روحاً تناهض الروح العربية والإسلامية ويسعى إلى قتل الأماني الوطنية ، ومع كل ذلك كان يتظاهر بصداقة العراقيين شأنه في ذلك شأن رجال السياسة

المستعمرين للوصول إلى مآربهم الاستعمارية بالخداع والتغرير والود الكاذب بالمظاهر الاصطناعية)) (٧٩).

وهكذا كان جون فان ايس من المرسلين الذين انجرفوا بالتيارات السياسية وأدوا خدمات إلى المستعمرين ، ولو دققنا في كتابه meet The Arab ،الذي نقله إلى العربية جليل عمسو بعنوان، أقدم أصدقائي العرب، نلاحظ أنه أستعرض فيه أحوال البصرة والخليج العربي والعادات والتقاليد والقيم العربية، وفيه فصل خاص كتبته زوجته تناولت فيه المرأة العربية وبخاصة البصرية، وما لها من عادات وتقاليد ، تشير إلى اهتمام المبشرين بالمناطق التي هي مسرحاً لنشاطهم، لأنه بدون معرفة المنطقة وأهلها فأنه من الصعب عليهم العمل فيها ومعرفتها، ومن ناحية أخرى تعدّ تلك الكتابات خير دليل ومرشد تستند عليه القوات الأجنبية، التي تحتل تلك المناطق في إدارة شؤونها ، ولقد رأينا كيف استفادت حكومة الاحتلال البريطاني من خبرة ومعرفة جون فان ايس بأحوال المدينة في تسيير الأمور المتعلقة بإدارتها ، وبخاصة في الجانب التعليمي .

وأخيراً فأنه ليس من سبيل الافتراض إذا قلنا أنه أريد بمدرسة الرجاء العالي الأمريكية في البصرة أن تقوم بالدور الذي كانت تقوم به الجامعة الأمريكية في بيروت التي تضطلع منذ سنوات طويلة ولاتزال بدور معقل التوسع الأيدلوجي في المنطقة ، ولا نجانب الحقيقة بقولنا إن مدرسة الرجاء العالي تحولت كذلك ، فترة الاحتلال البريطاني في البصرة ، ولكن تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢١ ودخول العراق ، دولة مستقلة إلى عصبة الأمم في ١٩٣٢ ، أدى إلى قيام مؤسسات تعليمية تهتم بالشؤون التربوية وفتح المدارس الحكومية ، وظهور إتجاهوطني قومي واضح ومؤثر كان دافعاً مهماً في إصدار تشريعات خاصة بالتعليم تهدف إلى إخضاع المدارس الأجنبية للأشراف الحكومي، وبخاصةً في وزارة المعارف العراقية ، ومتابعة الأمر ومراقبته ومحاولة كبح جماح تلك المدارس لحين تم تأميمها جميعاً وتعريبها في سنة ١٩٧٥ ، بما فيها مدرسة الرجاء العالي الأمريكية التي استمرت بإدارتها الأمريكية حتى ذلك الوقت .

الهوامش:

(١)- وهم من الكرملة البرتغاليين ، لمزيد من الإطلاع راجع: سلامة حسين كاظم ،التبشير في العراق وسائله وأهدافه، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص١٥٢-١٥٣ .

(٢)- يعزى ذلك إلى الإصلاحات في الدولة العثمانية، فقد صدرت في ١٨٥٦ لائحة الإصلاح العثماني المعروفة بـ(خطي همايون) والتي منحت الأقليات الدينية في الدولة العثمانية المساواة مع المسلمين في مجالات مختلفة من بينها حق الدخول في المدارس المدنية والعسكرية ،راجع: عبد الرزاق احمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨ -١٩٣٢ ، رسالة دكتوراه غير منشورة بغداد ، ١٩٩٠ ،ص٧٠ .

(٣)- يعود النشاط الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط إلى عام ١٨٢٠ على أثر تأسيس أول أسطول أمريكي دائم في البحر المتوسط ، وفي السابع من أيار ١٨٣٠ تم توقيع أول معاهدة أمريكية مع الدولة العثمانية هيأت للتجار والدبلوماسيين الأمريكان إمكانيات واسعة للتغلغل في البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية ، وقد استفاد من المعاهدة المبشرون الأمريكان الذين حملوا، منذ أوائل القرن التاسع عشر، النفوذ الأمريكي بنشاط الى الشرق الأوسط ، راجع:
بوندار يفسكي ،سياستان إزاء العالم العربي ، ترجمة دار التقدم، موسكو، بلا، ص٢١٧- ٢١٨ .

(٤)- أن الكنائس التي تستند في عقيدتها إلى تعاليم الكالفنية ، وهو المذهب الذي نشره جون كالفن ، وماطرأ عليه من تعديلات تعرف بـ(الكنائس المصلحة) وقد سميت كنائس سويسرا وهولندا وعدد من كنائس ألمانيا بالمصلحة ، راجع:-
حارث يوسف غنيمة ، البروتستانت والإنجيليون في العراق بغداد، ١٩٩٨ ، ص٢٩ -٣٠ .

(٥)- ذكر جيمس كانتين أن مشروع الإرسالية طرح في الأصل في حوار دار بين رجلين على متن باخرة محيطية في بداية ثمانينات القرن التاسع عشر ، وهما: و.أ بوكنان ، من مدينة ندن ، وكان رجل أعمال في البصرة ، ومن ثم أصبح أميناً للإرسالية العربية ، والاخر هو د. لانسنج من القاهرة ورائد الإرسالية الأمريكية المصرية ، الذي منح تمثيلا ((للحاجة والميعاد)) في شرق الجزيرة العربية وقد منح من بعده لأبنه الذي أصبح أحد العناصر المؤثرة في هذا الميدان راجع:

The Arabian Mission, Field Report, Quarterly Letters, VOL.3, Neglected Arabia 1911 – 1916, James Cantina Historic sketch of Busrah station, Archive Editions,1988, No.86 ,Jul.-sept.,1913 , P. 3 .

(٦)- تأسست في لبنان سنة ١٨٢٣ أول إرسالية بروتستانتية أمريكية ، فأبدت اهتماما كثيراً بالاتصال بالسكان المحليين ، وطبع الكتاب المقد س باللغة العربية ، وفتح شبكة من المدارس

، والتي على أساسها تأسست فيما بعد الكلية البروتستانتية السورية ، وقد أستبدل أسمها لاحقاً بالجامعة الأمريكية في بيروت ، راجع: بونداريفسكي ، المصدر السابق، ص٢١٦ ؛جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ ، ص١٠٥-١٠٧، ولمزيد من الإطلاع حول محطة بيروت الانتقائية ، راجع: عبد الملك خلف التميمي ، التبشير في منطقة الخليج العربي، الكويت ،١٩٨٢، ص٥١-٥٢ .

(٧)- كان هناك اختلاف مبدئي حول اختيار أول موطىء قدم للإرسالية العربية ، حيث قام أعضاء الإرسالية بجولات استطلاعية عام ١٨٩١ ، فتوجه زويمر ، إلى اليمن ، وكانتين إلى الخليج العربي، وكادت أن تكون بوشهر المحطة المحتملة ، غير أنه وصلت التعليمات بمغادرة الخليج بانتظار فرصة أكثر ملائمة في بلاد فارس .

The Arabian mission, op.cit.

(٨)- جرى في سنة ١٩٠٠ تعيين قنصل أمريكي في البصرة ، وقبل ذلك كان للولايات المتحدة الأمريكية وكيل سياسي في بغداد فقط ،راجع : ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد، ١٩٦٨ ، ص٣٦٧ .

(٩)- كانت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تعدان نفسيهما اكبر ممثلتين للمسيحية البروتستانتية في العالم ، لذا ساعدت بريطانيا البعثات التبشيرية الأمريكية، التي بدأت تتوافد إلى منطقة الخليج العربي، حيث سمحت للإرسالية العربية الأمريكية بتأسيس مراكز دائمة لها في المنطقة ،لأنهم أدركوا أن قيام الإرسالية لا يتنافى مع المذهب الذي تدعو إليه، مادامت الدولتان تعملان على إيقاف المد الفرنسي في منطقة الخليج العربي، سلامة حسين كاظم ، المصدر السابق، ص٣٦-٣٧؛ عبد الملك التميمي ، المصدر السابق ، ص٢٦٧ .

(١٠)- The Arabian Mission , Op.cit . p.4 .

(١١)- Ibid .

(١٢)- لمزيد من الإطلاع حول محطتي العمارة والناصرية التبشير يتين، راجع: عبدالملك خلف التميمي المصدر السابق ص٦٨-٦٩ .

(١٣)- T he Arabian mission , Op.cit. , P. 5-6 .

(١٤)- لمزيد من الإطلاع ، راجع: عبد الملك خلف التميمي ، المصدر السابق ، ص١٥٩ وما بعدها .

(١٥)- أن اغلب الإرساليات البروتستانتية كانت ترمي إلى أصلاح الكنائس الشرقية ، وتحويل غير المسلمين إلى البروتستانتية، حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق، ص١١.

(١٦)- أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الولايات المتحدة والمشرق العربي ، الكويت ،

١٩٧٨ ،ص٥-٦ .

(١٧)_ حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق، ص١١٨،عبد الملك خلف التميمي ، المصدر السابق ص١٦٨ .

(١٨)- The Arabian mission, Dorothy F.van Ess, The minaret) and The school-bell,op.cit.part 3, P.13-14.

١٩)- عبد الملك التميمي ، المصدر السابق ، ص١٦٨ .

(٢٠)- The Arabian mission, Dorothy F.van Ess, op.cit.part 3 p.15.

(٢١)- كانت جريدة ((المنير)) البصرية قد نشرت أعلاناً عن قرب افتتاح مدرسة في البصرة ، بناءً على طلب المدعو جون فان ايس ، وجاء في الإعلان ((بأنه تقرر أن تتخذ المدرسة لها بناية مؤقتة بجانب المخفر العسكري في منتصف طريق العشار، حتى يتسنى لها الحصول على دار أخرى في محلة الباشا ٠٠ إلى جانب دور البسام٠٠))، ((المنير))(جريدة)، البصرة، ع١٨ في ١٦ ربيع الثاني ١٣٣٠ هـ الموافق ٧ نيسان ١٩١٢ .

(٢٢)- The Arabian mission,Dorothy F.van Ess, op.cit. p.15

جون فان ايس،أقدم أصدقائي العرب ، ترجمة جليل عمسو ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص ١٥٦ -١٧٦ ، فقد كتبت السيدة دوروثي فان ايس الفصل العاشر من الكتاب المذكور تحت عنوان ، فاطمة وأخواتها .

(٢٣)-إبراهيم خليل احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩- ١٩٣٢ ،بغداد، ١٩٨٢ ،ص٥٦ .

(٢٤)- The Arabian mission, Dorothy F.Van Ess, op.cit, p.15- 16.

(٢٥)-مالك سيف ، للتاريخ لسان، بغداد،١٩٨٣ ،ص٤٤ ؛ حنا بطاطو ، العراق، الكتاب الثاني ، الحزب الشيوعي ،ترجمة عفيف الرزاق ، بيروت ١٩٩٢ ،ص٦٦-٦٩ و١٤٤-١٤٥، وقد ذكر الأخير أن السنتين التين قضاهما يوسف سلمان يوسف ، ١٩١٤-١٩١٦ ، في المدرسة الأمريكية في صفه جلس صبي من العمر نفسه ولكن من عائلة ملاكين في القرنة وهو بهجت العطية ، وكان أحدهما يشعر بوجود الأخر ، ولكنهما لم يختلطا لأن فهد كان من طبقة متدنية جداً .

(٢٦)- حنا بطاطو ، المصدر السابق،ص١٠٤-١٠٥ .

(٢٧)- حميد رزاق نعمة الموسوي، دور نواب البصرة في المجلس النيابي١٩٢٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة،البصرة ١٩٧٧، ص٢٥٧ .

(٢٨)-المصدر نفسه، ص٢٦٥-٢٦٦ ؛حارث يوسف غنيمة،المصدر السابق،ص١٦٢-١٦٣ .

(٢٩)- نشرت جريدة ((الفيحاء)) البصرية بأن منهاج المدرسة تضمن ((أن يكون تعليم اللغات الثلاث العربية والتركية والإنكليزية إجباريا ، أما الفرنسية والفارسية فيكون اختياريا، فضلاً عن ذلك تعليم الرياضيات والطبيعيات مع دروس لتعليم الزراعة والصناعةوالتجارة٠٠)) ،((الفيحاء))(جريدة)،البصرة ،ع٩٩ في ٢٣ جمادى الأول١٣٣٠ الموافق ١١ أيار ١٩١٢ .

(٣٠)- أهتم المبشرون اهتماما كبيراً بتعليم الفتيات لأنهن أمهات الجيل القادم وكسبهن يعني كسب الأمة بكاملها ، ففي زيارة قامت بها السيدة فان ايس إلى مدرسة البنات الحكومية ، وهي المدرسة الوحيدة للبنات في البصرة آنذاك ، حاولت أن تبين مدى الفرق في أن يتعلم ((أمهات المستقبل)) في تلك المدرسة غير المؤهلة لخلق جيل واع ، من وجهة نظرها ، وبين مدرستهم ((مدرسة الرجاء)) لأنها شعرت رغم كل شيء بمنافسة تلك المدرسة ، التي أطلقت عليها ((مدرسة اليأس)) لمدرستهم سيما عندما تم سحب بعض الفتيات المتقدمات في دراستهن من مدرسة الرجاء والتحا قهن بالمدرسة الحكومية لتعلم القران وقواعد الإسلام ، والابتعاد عن تعلم الإنجيل ، وهو أمر في غاية الأهمية بنظرهم راجع :

The Arabian mission , Mrs.J .van Ess ، School Of Hopelessness, No.89 , Apr.may.Jun.1914 , p.16.18 .

(٣١)- كانت أوضاع المدارس التبشيرية أفضل من أوضاع المدارس الحكومية من جميع الأوجه ، ففي الوقت الذي كانت الأخيرة تعاني من النقص والإهمال ، كانت المدارس التبشيرية تتمتع بحماية الحكومات الغربية ورعايتها المالية،وقد تمتعت تلك المدارس في الوقت نفسه بالامتيازات التي منحها إياها قانون عثماني صدر في ١٨٦٥ سمح لهم باستيراد البضائع واللوازم المدرسية دون الخضوع إلى الرسوم الكمركية ، الكسندر أداموف ،،ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة صالح هاشم التكريتي،ج١ ،البصرة ١٩٨٢، ص٢٠١-٢٠٢ .

(٣٢)- كان دليل النجاح بالنسبة لأعضاء الإرسالية إن معظم التلاميذ عادوا مع بداية العام الدراسي الجديد ومعهم تلاميذ جدد بنفس العمر ، فبلغ إجمالي الحضور خلال العام ١٩١٥ (١٤٦) تلميذاً ، بينما وصل نهاية العام الى (٩٤) تلميذاً ، وكان مجموع البنات المسجلات مطلع العام نفسه (٦١) تلميذة ، وتراوح معدل الحضورااليومي بين (٣٠) و(٤٠) تلميذة. راجع:

Th e Arabian mission , The EducationaL work, No.93 Apr.may.Jun ،1915,p.16.

(٣٣)- Ibid, Dorothy F. Van Ess , The minaret and The school – bell, p.16 .

(٣٤)- إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق ، ص٥٦ .

(٣٥)- The Arabian Mission, The Education aL work, op.cit.

(٣٦)-عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٧٥ ،ص٣٥ .

(٣٧)- وصل المبشرون الأمريكان إلى البحرين في نهاية القرن التاسع عشر ، عندما قام القس صموئيل زويمر بزيارة المنطقة في ١٨٩١ لافتتاح محطة تبشيرية جديدة هناك ، وفي بداية ١٨٩٣ أقام مكتبة لبيع الكتاب المقدس،وخلال العام نفسه تم العمل ببطء لافتتاح مستشفى ومدرسة ، وكانت البحرين في أول الأمر محطة تابعة للبصرة، ألا أنها أصبحت فيما بعد محطة رئيسية ثانية، عبد الملك خلف التميمي ، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٦ .

(٣٨)- لمزيد من الإطلاع راجع: جون فان ايس ، المصدر السابق ،ص٣٣٨-٤٢ ؛ حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق ص١١٩-٢٠ ؛((الثغر))،(جريدة) ، البصرة في ٣٠ نيسان ، ١٩٤٩ .

(٣٩)- The Arabian mission, The EducationaL work, op-cit,p.14.

(٤٠)- حميد احمد حمدان التميمي ،البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٣٦٣ .

(٥)- كان هنري دو بس ١٨٧١-١٩٣٤ من كبار موظفي حكومة الهند ، وله خبرة جيدة بالشؤون المالية ، وفي ١٩٢٣ شغل منصب المندوب السامي في العراق لغاية ١٩٢٩.

(٤١)- شملت المنح المدرسية في فترة الاحتلال البريطاني ، مدارس الأليانس الإسرائيلية في البصرة، والمدارس التي فتحها الآباء الكرمليون ، والطوائف الكاثوليكية ، والأرمنية والكلدانية في البصرة والعشار، والمدارس الأمريكية،الرجاء العالي للبنين والرجاء للبنات ، راجع: المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط،بغداد ،١٩٧١ ،ص٣٧ ؛ ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ،ج١، بغداد، ١٩٨٨ ، ص١٤٥ .

(٤٢)- حسن احمد السلمان ، التعليم في عهد الاحتلال والحكومة الوقتية ١٩١٥- ١٩٢١ ((مجلة المعلم الجديد))، تشرين الثاني ،١٩٤٨،ص١٤-٢٦ .

(٤٣)- حميد احمد حمدان التميمي، المصدر السابق، ص٣٤٠ .

(٤٤)- عبد المجيد زيدان ،معارفنا في عهد الاحتلال ، ((الثورة))(جريدة) ، بغداد ٨ شباط ١٩٦٠ .

(٤٥)- المصدر نفسه ؛ جون فان ايس ، المصدر السابق، ص٣٤٠ ؛ حميد احمد حمدان التميمي، المصدر السابق، ص٣٤٠ .

(٤٦)- عبد المجيد زيدان ، المصدر السابق .

(٤٧)-المصدر نفسه.

(٤٨)- The Arabian mission, J.Van Ess , PriviLeges of apedagoge , No.q8 , Jul.Aug.sept.,1916 , P- 8 .

(٤٩)- Ibid , p.6-8 .

(٥٠)- عبد الرزاق الهلالي، المصدر السابق ،ص٤٧و٤٩ .

(٥١)-عبد المجيد زيدان ، المصدر السابق .

(٥٢)- أبو خلدون ساطع ألحصري ، مذكراتي في العراق ١٩٢١-١٩٤١ ، ج١ ، بيروت ، ١٩٦٧ ص١٩٨-٢٠٠ .

(٥٣)- راجع : مشروع نظام المدارس الأهلية والأجنبية ، المصدر نفسه ، ص٥٢٠-٥٢٥ .

(٥٤)- راجع المادة (١٢) من معاهدة ١٩٢٢ الموقعة في العاشر من تشرين الأول ١٩٢٢ ، دار الكتب والوثائق، ملف رقم ٥١٦٦ ، و١٧ ص٥٧ .

(٥٥)- ساطع ألحصري ، المصدر السابق، ص٥٢٢ .

(٥٦)- فتحت في بغداد سنة ١٩٢٥ المدرسة الأمريكية للبنين ، ومدرسة أخرى للبنات وكانت المدرسة الأولى تشبه المدرسة الأمريكية في البصرة من حيث نظامها ، كما فتح البروتستانت الأمريكان خلال الفترة ١٩٢٤-١٩٢٥ مدارس تبشيرية في كركوك والعمارة والحلة ودهوك والموصل ، وكانت إدارة تلك المراكز التعليمية جميعها تحت أشراف الكنيسة المصلحة الهولندية ، إبراهيم خليل احمد ، المصدر السابق، ص٢١٧ .

(٥٧)- جليل القس عمسو، من أهالي الموصل درس في المدرسة الأمريكية العالية في ماردين، وفي سنة ١٩٢٣ سافر إلى بيروت لإكمال دراسته، عندما وردته رسالة جون فان ايس فتوجه إلى البصرة في السنة ذاتها راجع: مفيد إبراهيم حلمي العمر ومنصور سلمان الكيلاني ، الأدوار التاريخية لمعارف البصرة،العشار ،١٩٤١، ص٤٥- ٤٦.

(٥٨)- طالب مشتاق، أوراق أيامي ، ١٩٠٠-١٩٥٨، ج١ ، بيروت، ١٩٦٨،ص١٥١ .

(٥٩)- كان جون فان ايس حريصاً على الالتزام بالدعوات الموجهة إليه لحضور المناظرات وللمناقشات العلمية والأدبية، راجع: ((الأوقات العراقية))(جريدة)، البصرة،ع٢٠٢١ في ١٢ كانون الأول ١٩٢٧ ،وع٢٠٢٤ في ١٥ كانون الأول ١٩٢٧ ؛((الثغر)) في ٨ أيار ١٩٣٣ و١٣ أيار ١٩٣٤ .

(٦٠)- طالب مشتاق ، المصدر السابق ، ص١٥٢ .

(٦١)- تم التوقيع على المعاهدة بشكلها النهائي في التاسع من كانون الثاني ١٩٣٠ ، وقد ضمنت المادة الرابعة في المعاهدة مصالح أمريكا التعليمية ، كما فسحت لهم المجال ليعملوا

على توسيع هذه المصالح بما تعنيه من تأثيرات فكرية ، حيث ورد في الفقرة الثانية من البروتوكول الملحق بالمعاهدة ((عدم تدخل الحكومة العراقية في الأمور العائدة إلى منهج التدريس ، كجدول أوقات الدروس والنظام والإدارة الداخلية الصرفة في المدارس التي يؤسسها أو يقوم بنفقتها في العراق الرعايا الأمريكيون))، راجع:

عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ،ج٢، بغداد،١٩٨٨، ص٢٩٥-٢٩٨ .

(٦٢)_ حارث يوسف غنيمة، المصدر السابق،١٢٢؛ سلامة حسين كاظم، المصدر السابق، ص١٦٠ .

(٦٣)- حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق، ص١٢٠ ، بينما ورد في كراس الأدوار التاريخية لمعارف البصرة أن جورج جوسلنك ، وهو من ولاية أيوه وتخرج من كلية ألاهوت في سنة ١٩٢٨ ، تولى إدارة مدرسة الرجاء العالي المتوسطة في سنة ١٩٤١ راجع: مفيد إبراهيم حلمي العمر ومنصور سلمان الكيلاني ، المصدر السابق، ص٤٦ .

(٦٤)- وكان جون فان ايس قد توفي في ٢٦ نيسان ١٩٤٩ ، ودفن في مقبرة الجيش البريطاني قسم الأموات المدنيين ، الواقعة في منطقة المكينة في البصرة ، بجانب قبر أبنه ، وقد كتبت جريدة ((الثغر)) البصرية أنه كان على أهبة السفر للعودة إلى بلاده عندما وافاه الأجل، ((الثغر)) في ٢٦ نيسان ١٩٤٩.

(٦٥)- عبد المجيد الغزالي، البصرة ، من منشورات ((الهدف)) ، بغداد ،١٩٤١ ،ص١١٠ .

(٦٦)- Van Ess , D. ,History of The Arabian mission , p.18 .

نقلاً عن عبد الملك خلف التميمي، المصدر السابق ،ص١٧٢ .

(٦٧)- جون فان ايس ، المصدر السابق،ص١٤١ .

(٦٨)- مقابلة مع القس جلبرت اندراوس شاهين ، راعي الكنيسة البروتستانتية في البصرة، لقاءات متعددة معه في صيف ٢٠٠١ .

(٦٩)- بونداريفسكي ، المصدر السابق ،ص٢٢٣ .

(٧٠)- عبد الرزاق احمد النصيري،ا لمصدر ا لسابق، ص٧٥ .

(٧١)- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج١، بيروت، ١٩٧٩ ،ص١٤٧..

(٧٢)- أنور الجندي ،يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار ،مطبعة الرسالة، ١٩٧١، ص١٤١ .

(٧٣) - The Arabian mission, Jon van Ess , privileges of a pedagogue, op.cit ,p.q .

(٧٤)- Ibid,The Education aL work, op.cit.p.q

(٧٥)- مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، التبشير والاستعمارفي البلاد العربية ، بيروت،١٩٧٠، ص٧٧ .

(٧٦)- The Arabian mission, The Education al-Work, op.cit .p-q

(٧٧)- Ibid .

(٧٨)- كان سامي شوكت آنذاك مديراً عاماً للمعارف في بغداد وساطع الحصري مراقب التعليم العام ،راجع: أبو خلدون ساطع الحصري ،مذكراتي في العراق ، ١٩٢٧- ١٩٤١ ، ج٢ ، بيروت، ١٩٦٨، ص١١٨.

(٧٩) — عبدا لمجيد زيدان ، المصدر السابق .

ملحق

مُرسلات الإرسالية العربية الأمريكية
المشتغلين في مجال التعليم في محطة البصرة
١٨٩٦-١٩٢٥

ت	الاســـــم	ســـنوات العـــمل
١	الآنسة سكا رد وفيلد	١٩٠٣-١٩٠٥
٢	الآنسة لوتون	١٩٠٤-١٩٠٥
٣	السيدة فوكل	١٩٠٨-١٩١٣
٤	السيدة دو بريه(عقيلة كانتين)	١٩١١-١٩١٢
٥	السيدة شو	١٩١١-١٩١٤
٦	السيدة فان فلاك	١٩١١-١٩١٣
٧	السيدة دو روثي(عقيلة فان ايس)	١٩١٢-١٩٢٥
٨	الآنسة شافيهتلن	١٩١٢-١٩١٤
٩	السيدة تومس	١٩١٨-١٩٢٢
١٠	الآنسة كلاين	١٩١٨، ١٩٢١-١٩٢٥

ت	الاســـــم	ســـنوات العـــمل
١١	السيدة بلكرت	١٩٢٤-١٩٢٥
١٢	الآنسة روث جاكسون	١٩٢٤-١٩٢٥
١٣	الآنسة راشيل جاكسون	١٩٢٤-١٩٢٥
١٤	سوانتيا دي يونغ	جرى تعيينها في ١٩٢٦
١٥	لآخينا هو جيفين	بعد ١٩٢٦

المصدر : نقلاً عن حارث يوسف غنيمة ، المصدر السابق ، ص١٢٤-١٢٦ (بتصرف).